لغات الخطاب الديني

وأسئلة التلقي المعرفي

أعمال مهداة إلى الأستاذ

مولاي المامون المريني

كتاب جماعي من تنسيق:

محمد الفرجي – محمد فتح الله مصباح

سامي لوريكة

تم نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة
– النقد وتحليل الخطاب –

- **الكتاب:**
لغات الخطاب الديني
وأسئلة التلقي المعرفي
أعمال مهداة إلى الأستاذ مولاي المامون المريني
- **تنسيق:**
د. محمد الفرجي – د. محمد فتح الله مصباح– د. سامي لوريكة
- **عدد الصفحات:** 448 صفحة
- **مقاس:** 17×24 سنتم
- **الطبعة الأولى:** مراكش 2021م
- **الكلمات المفاتيح:** اللغات، الخطاب، الديني، التلقي.
- **الحقل المعرفي: اللغات** / / مناهج تحليل الخطاب / الخطاب الديني
- **ديوي:** 464

رقم الإيداع القانوني: 2021MO5165
الرقم الدولي: 978-9920-756-61-7

حقوق الطبع والنشر © مؤسسة آفاق 2021 – المغرب

الناشر:

مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال،
483/4 الوحدة الرابعة، الداوديات – مراكش – المغرب
(212) 5 24 30 73 59
www.afaqedit.com
Email: afaqedit@gmail.com

مركز عطاء للبحث في اللغة وأنساق المعرفة

خطوط الغلاف: محمد وهنان
تصميم الغلاف: حميد مسافي
الطباعة: المطبعة والوراقة الوطنية – مراكش – المغرب

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن خطي مسبق من الناشر.

الفهرس

تقديم 11

المحور الأول

لغات النص الديني
المشترك والخواص والآثار

كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي ومصادره اليهودية..... 13

د. أحمد شحلان

حول عبادة الإله رحمنان/ الرحمن في اليمن قبل الإسلام: دراسة في ضوء النقوش اليمنية القديمة 33

د. محمد مرقطن

التوراة واللغة العبرية: مفهوم "اللغة المختارة" عند يهودا اللاوي الأندلسي (1080-1141م)..... 67

د. عبد الكريم بوفرة

لغات النصوص الدينية: أثر التفاعل النصي في ترجمات معاني القصص القرآني إلى اللغة العبرية 93

د. عامر الزناتي الجابري

مفهوم الإله في العهد القديم عند بطليموس الغنوصيّ 117

د. عبد الرحمن السليمان

اللغة، الدين، اللغة الدين 143

د. محمد موهوب

مقاصد الخطاب في القصص القرآني والتوراتي 161

دة. سعاد الكتبية

المحور الثاني

اللغة الدينية
من النص إلى الخطاب

«الصّدقة» و«الزّكاة» بين النصّ الديني والخطاب الفقهي 187

د. محمّد الحاج سالم

مراجعات حول بدايات تصوف القبّالا على أرض الإسلام نصوص من "شرح الربِّي يهودا بن مالْكا على فصول الربِّي إِليعِزِرْ" (فاس، القرن الثالث عشر الميلادي)..... 205

د. عبد الرحيم حيمد

ابن البنا العددي بين الهاجس الصوفي والوفاء العلمي: "تأملات تطبيقية" 249

د. محمد اليوسفي

فلسفة الصمت في الخطاب الصوفي..... 263

د. محمد البوغالي

المحور الثالث

مداخل معرفية راهنة
في تجديد التلقي للغات الخطاب الديني

أسماء الشخصيات في القصص القرآني بين اعتباطية العلامة وتوجيه الدلالة: قصة يوسف أنموذجا 281

د. محمد فتح الله مصباح

قرآن المؤرخين، من العلمية إلى الانحياز الإيديولوجي 305

د. محمد آيت لعميم

الهرمينوطيقا الحديثة في القرآن الكريم: الاستراتيجيات والتطور، قراءة توصيفية 315

د. المصطفى لغفيري

المحكي الإبراهيمي: نحو قراءةٍ نفسانيةٍ جديدة 337

د. حسن المودن

الصدى والرجع قراءة في كتاب: "المحاضرة والمذاكرة" لموسى بن عزرا 353

د. فيصل الشرايبي

سليمان بن جبيرول في الدراسات المعاصرة: بين سؤال الهوية ومعالم المذهب الفكري 381

دة. نزهة الزبيري

خطاب الإصلاح في الفكر الديني العربي: قراءة في مشاريع نهضوية 413

د. عبد اللطيف عادل

المشروع الفكري للباحث الإسباني عبد المؤمن آية: قراءة في المصطلح 429

د. حسن بوتكى

مفهوم الإله في العهد القديم عند بطليموس الغنوصيّ

د. عبد الرحمن السليمان*

1. الغنوصيّة:

الغنوصيّة[1] أو مذهب العرفان هو مذهب نشأ مع نشأة المسيحيّة في القرن الأول للميلاد وانتشر انتشارًا واسعاً في القرن الثاني. وضع أصول هذا المذهب الشاعر المصريّ فالانسيوس (الإسكندريّة: 110 – 175) الذي كان يرى أنّ المعرفة الروحانيّة أهمّ من الإيمان بحد ذاته، وأنّه لا سبيل إلى قراءة الكتب المقدّسة عمومًا وأسفار العهد القديم خصوصاً قراءة ظاهريّة، بل لا بدّ من تأويلها تأويلاً ميتافيزيقيًّا لفهمها، محاولاً في الوقت نفسه التوفيق بين تعاليم المسيح من جهة والفلسفات اليونانيّة والشرقية من جهة أخرى[2]. فكان نقد الكتاب المقدّس ورفض تفسيره تفسيرًا حرفيًّا أهمّ أصل من أصول مذهبهم. ولعلّ إمعان الغنوصيّين في نقد الكتاب المقدّس هو الذي جعل الكنيسة تعدّهم هراطقة. أمّا هم فكانوا يعدّون أنفسهم مسيحيّين على الصراط المستقيم، لأنّ إيمانهم مبنيّ على "العرفان" وبالتالي على اليقين[3].

والحقيقة أنّ مشكلة كتاب العهد القديم الذي اعتمدَتْه الكنيسة كانت من التعقيد بمكان جعل آباء الكنيسة يضطربون تجاهها. والمشكل اللاهوتيّ العويص كان في محاولة التوفيق بين

---

* – أستاذ اللغة العبرية والترجمة، جامعة لوفان– بلجيكا.

[1] – إنّ كلمة "الغنوصية" (Gnosticism) من اليونانيّة: γνώσις = gnósis ومن معانيها: "البحث؛ البصيرة؛ المعرفة؛ تحسُّس عالم الغيب (في اللاهوت المسيحي)". انظر: Liddell H. G. & Scott R. (1996)، مادة γνώσις.

[2] – انظر Dixon, Th. (2008).

[3] – يقابل مذهب العرفان مذهب اللاأدريّة (agnosticism) وهو مذهب يعتقد أصحابه أنّ وجود الله وطبيعته وإدراك خلق العالم أمور لا سبيل إلى معرفتها بالعقل. انظر Dixon, Th. (2008).

صورة الإله التي يقدمها كتاب العهد القديم، وصورة الإله التي تقدمها الأناجيل، وهذا باد بجلاء من محاولة قيام بطليموس بالتدليل على التضاد بين الصورتين، معتمدًا في ذلك على أماكن بعينها من كتب العهد القديم، مبرهنـًا بطريقته على أنّ الإله الذي أوحى بالتوراة أو ببعض منها إلى موسى هو غير الإله الأب الرحيم الذي بعث عيسى وأوحى بالأناجيل إلى الرسل، أي: أن إله اليهودية ليس هو إله المسيحيّة.

وزاد الجدل في كتاب العهد القديم، وتدخلت الكنيسة لتحكم بين الآراء، فأدّى تدخلها في الجدل إلى نشوء آراء كثيرة، أدّت بدورها إلى تفرّع المذهب الغنوصيّ إلى فرعين رئيسين: فرع شرقي، ومركزه الإسكندريّة، وفرع غربيّ ومركزه روما. وكان بطليموس من أتباع الفرع الغربيّ للمذهب، وتُعَدُّ رسالته إلى فلورة، وهي امرأة مسيحيّة، حاول فيها استمالتها إلى مذهبه، من أقدم نصوص الفرع الغربيّ للمذهب الغنوصيّ المحفوظة باللغة اليونانيّة. أما الفرع الشرقيّ للمذهب فقد تطوَّر تطوّرًا ملحوظًا لأنّ الإسكندريّة كانت مركزًا لتيّارات مسيحيّة كثيرة كالمذهب الغنوصيّ ومذهب آريوس الذي ينفي صفة اللاهوت عن عيسى، ويثبت له الناسوت فقط، وغيرهما من المذاهب.[1] وقد عثر بين نصوص نجع حمادي في سيناء على طائفة كبيرة من نصوص المذهب الغنوصيّ مكتوبة باللغة القبطية. وتعدّ النصوص التي عثر عليها سنة 1945 في نجع حمادي من أهمّ مصادر المذهب الغنوصيّ على الإطلاق.

لم تترجم هذه الرسالة[2] المهمّة إلى اللغة العربيّة بعد؛ ولذلك كان اهتمامي بها هنا، وكانت التّرجمة التي أنشرها أدناه. وسأردفها بدراسة في معتقد بطليموس في إله العهد القديم.

2. نصّ الرسالة:

"من بطليوموس إلى فلورة.

---

[1]- انظر Ayres L. (2004) و Rubenstein R. (2010).

[2]- وردت هذه الرسالة في كتاب "باناريون" للأسقف إبيفانوس، أسقف سالاميس في قبرص (310/ 320-403 ميلادي)، وهو كتاب يعرض فيه الكاتب لثمانين هرطقة من زمن آدم حتّى القرن الرابع بعد الميلاد بالإضافة إلى ثبت للعقيدة المسيحيّة الكاثوليكيّة في آخره. الكتاب باللغة اليونانيّة وله ترجمة إنكليزيّة أنجزها فرانك وليامز (Williams Frank) صدرت في مجلدين سنة 1987 و1994. انظر Williams F. (1987) وكذلك Williams F. (1994) في قائمة المراجع. وانظر أيضًا: Quispel Gillis (1966). وللإشارة فإن ترقيم فقرات الترجمة العربية يتبع ترقيم الفقرات كما جاء في الأصل اليوناني.

1.2. "اعلمي يا أختي الكريمة فلورة أنّ التوراة التي بشَّر بها موسى لم يفهمها معظم الناس على حقيقتها، لأنهم لا يعرفون شيئًا يذكر عن المشرِّع الحقّ، ولا عن حدوده.

2. فهي عند قوم من عند الإله الأب، وعند قوم آخرين يعتقدون اعتقادًا مختلفًا عن الأوّل، هي من عند العدو، الشيطان الرجيم، تمامًا مثلما ينسبون إليه [الشيطان] خلق العالم بزعمهم أنّه الأب، وأنّه خالق كلّ شيء.

3. ويبدو جليًا أنّ الفريقين على ضلال لأنّهما متناقضان في الرأي، ولأنّهما لم يوفقا إلى معرفة الحقيقة وفهمها.

4. إن التوراة – نظرًا لعدم أهمّيتها – ليست من عند الإله الأب. فهي من جهة ناقصة، وتحتاج إلى تكميل، وتحتوي من جهة أخرى على حدود لا تنسجم مع طبيعة الإله الأب وحقيقته.

5. أمّا الرأي الآخر فهو غير مقبول أيضًا، إذ لا يعقل أن يكون مصدرُ التوراة العدوَّ البغيضَ [= الشيطان] لأنّها لا تبيح الظلم. وهذا رأي يعتقده هؤلاء الذين لا يستطيعون، وفقًا لكلام المخلّص، أن يروا ببصيرتهم "أنّ المدينة المنقسمة على نفسها لا يمكن لها أن تعيش"، كما يقول مخلّصنا[1].

---

[1] – إنجيل متّى، الإصحاح الثاني عشر، الآية الخامسة والعشرون: "فعلم يسوع أفكارهم فقال لهم: إنّ كلّ مملكة تنقسم على نفسها تخرب، وكل مدينة أو بيت ينقسم على نفسه لا يثبت". ويقصد بطليموس بالمخلّص (من اليونانية Σωτηρ، ومعناها "المخلص، المنقذ) المسيح. وهي ترجمة مستعارة لاسم المسيح في العبريّة: ישוע (= يِشُوَع)، المشتق بدوره من الجذر ישע (يَشَع) الذي يجانسه اشتقاقيًا في العربيّة الجذر / وسع/ وفعله وَسِعَ لأن الأفعال التي فاءاتها ياءات في العبريّة تجانس تأثيليًّا الأفعال التي فاءاتها واوات في العربيّة ولأن الشين العبريّة تجانس السين في العربيّة. والخلاص يكون من الضيق وهذا هو المعنى الأصلي للجذر / وسع/ في اللغة الجزيريّة الأمّ، وكذلك في العربيّة والعبريّة. والتطوّر اللغويّ ذاته شهدته لفظة "المسيح" في اليونانيّة ذاتها: Χριστος = Christos، لأنّها ترجمة مستعارة لكلمة משיח (= مَشِيَح) في العبريّة، المشتقة بدورها من الجذر الجزيريّ الأصلي / مسح / وفعله "مَسَحَ"، لأنّ العادة لدى الشعوب الجزيريّة كانت تقتضي مسح رأس الملك المتوّج بزيت الزيتون المبارك. ومن ثَمَّ كانت تسمية عيسى بن مريم مسيحاً. فكلمة مسيح/ משיח (= مَشِيَح) هي أصل، وكلمة Χριστος = Christos هي ترجمة مستعارة. انظر Klein E. (1987) و Liddell H. G. & Scott R. (1996).

6. وفي تضاعيف ذلك يقول الرسول في مسألة الخلق: إنّ ذلك [الخلقَ] خلقُه وإنّ "كُلٌّ به كُوِّنَ وبغيره لم يُكَوَّن شيء مما كُوِّن"[1]. بهذا يفنّد [الرسولُ يوحنّا] حكمة الكذّابين الضالّة. ليس [خلقُ العالم] خلقَ الإله الشِّرِّير والمرعب، بل خلق [إله] عادل يبغض الشرّ. إنّ هذا رأي الجهلة الذين لا يأخذون بأسباب عناية الخالق، المصابين بعمى البصر والبصيرة معـًا.

7. يبدو مما سبق أنّ الفريقين لم يوفقا إلى معرفة الحقيقة. ولقد فهم كلّ منهما الأمر على طريقته، فالفريق الأول [فهمه هكذا] لأنّه لا يعرف إله العدل، والفريق الثاني لأنّه لا يعرف الإله الأب، وهو الإله الحق.

8. بقي لنا- نحن الذي وُفِّقْنا إلى معرفة [الإلهين] الاثنين... أن نبين لك ماهية الشريعة [= التوراة] وماهية المشرّع، والجهة التي أوحت بها. ونريد في هذا المجال أن نبرهن لك على ذلك من خلال كلمات مخلّصنا، وهي الكلمات التي تكفينا مؤونة اللجوء إلى مفهوم الكائنات.[2]

1.4. يجب أن تعلمي قبل كلّ شيء أنّ الشريعة الموجودة في كتب موسى الخمسة ليست من عند إله واحد. أعني أن هذه الشريعة ليست كلّها واردة من عند إله واحد، لأنّ فيها حدودًا أضافها الناس إليها. وتعلمنا كلمات المخلّص أنّ هذه الشريعة ذات ثلاثة مصادر.

2. فالمصدر الأول هو الله وشرعه، والمصدر الثاني هو موسى، ليس بصفته نبيـًا يوحى إليه، بل بصفته إنسانـًا أضاف إلى الشريعة [الموحاة إليه] حدودًا من عنديّاته، والمصدر الثالث هو أحبار الأمة الذين ارتأوا إضافة حدود بعينها إلى الشريعة [الموحاة].

3. أمّا كيف يمكن لنا أن نبرهن على ذلك من خلال كلمات المخلّص، فهو ما سوف تتعلمينه الآن.

4. تحدث المخلّص ذات مرّة مع أولئك الذين سألوه عن الطلاق المسموح به [في شريعة التوراة]، وقال: "إنّ موسى لأجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلّقوا نساءكم، ولم يكن من

---

[1]- إنجيل يوحنّا، الإصحاح الأوّل، الآية الثالثة.

[2]- بما أنّ فلورة مسيحيّة معتقدة فإنّ بطليموس يحاول إقناعها بمذهبه معتمدًا في برهنته على النقل وليس على العقل. ويقصد "بمفهوم الكائنات" الأدلّة العقليّة.

البدء هكذا"، "لأنّ الله"، حسب المخلّص، "جمع بين الزوجين، وما جمعه الله فلا يفرّقه إنسان"[1].

5. يبدو من ذلك أنّ شرع الله، الذي يحرّم انفصال الزوج عن الزوجة، ليس هو شريعة موسى، التي تبيح الطلاق بين الزوجين، بسبب "عنت القلوب".

6. وهكذا أعلن موسى شريعة متناقضة مع شرع الله، لأنّ "الطلاق" ضد "عدم الطلاق".

وإذا حاولنا فهم السبب الذي جعل موسى يقوم بذلك، اكتشفنا أنّه لم يفعل ذلك بمحض إرادته هو، بل نتيجة للضرورة التي أملاها عليه ضعفُ أولئك الناس المعنيّين بتلك الشريعة [= اليهود] ...

7. ... لأنّه لم يكن بمقدورهم تحقيق إرادة الله بتحريم الطلاق، وهي الإرادة التي اعترض عليها بعض الناس الذين كانوا يعيشون [أشقياء] مع أزواجهم، ولكي يتم تفادي المزيد من الشقاء ومن ثَمَّ الضلال ...

8. ... فإنّ موسى أراد أن يتفادى هذا الاعتراض وهذا الشقاء والضلال الناتجين عنه؛ لذلك أضاف حكمـًا ثانيـًا [= إباحة الطلاق] إلى الحكم الأول [= تحريم الطلاق] مستبدلاً بذلك شرًا كبيرًا بشرٍ أصغر منه هو إباحة الطلاق. وقد فعل موسى ذلك بمحض إرادته ...

9. ... لأنّهم، عندما لم يكن بمقدورهم احترام الحكم الأول، احترموا الحكم الثاني وبذلك لم ينتهوا إلى الظلم والغضب المؤدِّيَيْن إلى الضلال.

10. إنّ هذا هو رأيه الذي جعلنا نصنّفه رجلاً أضاف إلى شرع الله حكمـًا مضادًا له. ولقد أبنّا بأن شريعة موسى مغايرة لشرع الله، وهذا أمر واضح غير قابل للجدل، حتّى وإن اقتصرنا في البرهنة عليه على هذه النقطة الواحدة فقط.

---

[1]- إنجيل متّى، الإصحاح التاسع عشر، الآية الثامنة والسادسة. والطلاق مباح عند جميع النصارى ما عدا الكاثوليك الذين لا يبيحون منه إلا ما كان قبل البناء.

11. أمّا بالنسبة إلى وجود أحكام أضافها الأحبار إلى الشريعة [الموحاة]، فهذا واضح من قول المخلّص: "أَكْرِمْ أباك وأمك لكي يطول عمرك في الأرض [التي يعطيك الربُّ إلهُك]"[1].

12. ويضيف المخلص قائلاً: "لقد قلتَ [يا موسى]" لحكماء القوم: "من نعمة الله عليكم أنّه بعثني إليكم لمساعدتكم؛ ولكنّكم عطّلتم شريعة الله من أجل سنن الأقدمين"[2].

13. وها هو ذا إشعياء يصرخ: "إنّ هذا الشعب يكرمني بشفتيه وقلبه بعيد منّي. إنّما مخافته لي وصيّة بشر تعلّموها"[3].

---

[1]- سفر الخروج، الإصحاح العشرون، الآية الثانية عشرة. واضح أنّ بطليموس هنا يقتبس من العهد القديم، ويعزو ذلك إلى المخلّص وهو المسيح عيسى بن مريم. وهذا عائد إلى عقيدة "الكلمة" المسيحيّة التي تعدّ المسيح قديما غير حادث لأنّه كلمة الله (انظر الآية الأولى من إنجيل يوحنا).

[2]- يلاحظ أن المسيح يقصد بقوله "ولكنكم عطّلتم شريعة الله من أجل سنن الأقدمين" استبدال أحبار اليهود التوراة المكتوبة بالتوراة المنقولة تواتراً شفهيّاً بعد تدوينها، وهي المسماة "بالمشناة" والتي تكون متن التلمود الذي استبدل في القرون الوسطى التوراة المدونة، أي: كتب موسى الخمسة المنسوبة إلى موسى استبدالاً تامًا، وهو الأمر الذي أدّى إلى انتقاد النصارى لليهود واتهامهم بأنّهم عطّلوا شريعة الله باستبدالها بأعمال أحبارهم (سنن الأقدمين). ولكنّ هذه التهمة لم تقتصر على النصارى؛ لأنها امتدّت إلى أوساط اليهود، وتسبّبت في أكبر شرخ عرفته اليهوديّة في تاريخها. فلقد أصبحت التوراة في القرن الثاني الهجريّ نسياً منسيًّا لدى جمهور اليهود، بسبب طغيان التلمود البابليّ عليها، فأدّى هذا الوضع إلى نشوء فرقة "القرائيين" لدى اليهود (نسبة إلى كثرة قراءة "المِقْرَأ" وهو كتاب العهد القديم). أسّسس هذه الفرقة في بغداد عنان بن داود الذي ظهر زعيماً للفرقة أيّام أبي جعفر المنصور المتوفى سنة 158 هجريّة (775 ميلادية). وتركّز نقد عنان لأحبار اليهوديّة في مسائل كثيرة أهمّها على الإطلاق رفضه لكتاب التلمود (التلمودين البابلي والمقدسي) واعتباره إيّاه بدعة ابتدعها الأحبار، ونسبوها إلى موسى ومطالبته اليهود بالعودة غير المشروطة إلى كتاب العهد القديم مصدر الديانة اليهوديّة الوحيد حسب قوله. ولقد أدّت حركة القرائين اليهود التي أسّسها عنان هذا إلى الاهتمام بأسفار العهد القديم، فقام المسوريون، وهم من علماء القرائين، بإدخال نظامَي الإعجام والإشكال في عبريّة العهد القديم معتمدين في ضبط نطقه على الآراميّة اليهوديّة، وهي الآراميّة التي دُوِّنَ كثير من الأدب اليهوديّ بها، والتي كان اليهود يتكلّمون بها قبل استعرابهم بداية العصر العباسي. انظر جعفر هادي حسن (1989)، وهذا كتاب جيّد حول فرقة القرائين اليهود.

[3]- سفر إشعياء، الإصحاح التاسع والعشرون، الآية الثالثة عشرة (نسخة الترجمة السبعينيّة). أما في ترجمة فانديك فنقرأ "لِأَنَّ هَذَا ٱلشَّعْبَ قَدِ ٱقْتَرَبَ إِلَيَّ بِفَمِهِ وَأَكْرَمَنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَأَبْعَدَهُ عَنِّي، وَصَارَتْ مَخَافَتُهُمْ مِنِّي وَصِيَّةَ ٱلنَّاسِ مُعَلَّمَةً".

14. وبذلك نكون برهنّا أنّ التوراة مكونة من ثلاثة أجزاء، لأنّنا نرى فيها شريعة موسى [نفسه]، والشريعة التي أضافها الأحبار، وشريعة الله[1].

إنّ هذا التصنيف للتوراة، الذي برهنّا عليه، قد أبان الحقيقة الكامنة فيها.

1.5. أمّا الجزء الإلهيّ من شريعة الله، فيُقسَّم بدوره إلى ثلاثة أجزاء: [أ] الشريعة الخالصة، التي لم تختلط بشر – والتي يصح أن نسمّيها "بالشريعة الحقّة" – والتي لم يأت المخلّص من أجل حَلِّها بل من أجل إتمامها[2]، لأنّ ما أتمّه المخلص منها لم يكن صادرًا عن مصدر آخر، لكنّه أتمّها لأنّها كانت ناقصة.[3] [ب] الشريعة المختلطة بالشر والظلم، وهي الشريعة التي حَلَّها المخلّص؛ لأنّها لا تنسجم مع طبيعته [اللاهوتيّة].

2. وأخيرًا [ج] الشريعة الرمزيّة التي نشأت نتيجة للعالم الروحانيّ والغيبيّ. لقد حوَّل المخلّص هذا الجزء من التوراة ونقله من العالم الماديّ الحسيّ إلى العالم الروحانيّ الغيبيّ[4].

3. إنّ شريعة الله الخالصة الحقّة، التي لم تمتزج بالشرّ والظلم، هي "الوصايا العشر"، التي أنزلت [على موسى] في لَوحَيْن لتحريم ما يجب على الإنسان تجنُّبه، والتحفيزِ على ما ينبغي على الإنسان فعله. مع ذلك احتاجت هذه الشريعة [الإلهية] إلى إتمام المخلّص لها، لأنّها لم تكن كاملة[5].

---

[1]– يقصد بطليموس بإضافة الأحبار "كتاب المشناة" (<משנה) الذي يقول اليهود فيه إنّه التوراة التي أنزلها الله على موسى في سيناء "على شفته" (על שפתו = عَلْ سفتاه)، بعكس التوراة التي أنزلها في الألواح وتمّ تدوينها (الكتب الخمسة). إذا: يعتقد اليهود بوجود توراتين: واحدة نزلت مكتوبة، وأخرى ألقاها الله في فم موسى فرواها ليهوشع الذي رواها بدوره لأحبار اليهود الذين دوّنوها قبل ظهور المسيحيّة بحوالي قرن من الزمان. وانظر الحاشية السابقة.

[2]– انظر إنجيل متّى، الإصحاح الخامس، الآية السابعة عشرة: "لا تظنّوا أنّي أتيت لأُحلَّ الناموس والأنبياء؛ إنّي لم آت لأحلّ لكن لأتمِّم".

[3]– يسلّم بطليموس بأنّ هذا الجزء الإلهيّ من شريعة موسى، الذي أتمّه المسيح عليه، من عند الله. وفي الوقت نفسه يقول بأنه ناقص أتى المسيح لإتمامه. وهذا يعني أن بطليموس يقول بالنسخ.

[4]– درج القديس بولص وتبعه في ذلك أوائل علماء النصرانيّة على تفسير جميع ما لم يرق لهم من الشرائع اليهودية تفسيرا روحانيّا، وذلك بعد إبطال العمل بها. وفي الحقيقة كانت رومة وأعمالها إبّان ظهور المسيحيّة تعاني من فراغ روحي كبير، ولم يكن الرومان يحبّذون الشرائع اليهوديّة الكثيرة المتعلّقة بالمأكل وغيره التي تتّسم بالتعقيد، فكانوا يريدون دينًا يشبعهم من الناحية الروحيّة بدون تكلّيفهم بشرائع وسنن لا يستسيغونها. انظر Davies W.D. (1965).

[5]– تكون هذه المقولة وغيرها أساس الجدل الدينيّ بين النصارى واليهود؛ لأنّه يتعلق بمفهوم النسخ الذي يأخذ به علماء النصرانيّة في جدلهم مع اليهود.

4. إنّ الجزء الذي اختلط بالشر والظلم، هو تلك الشريعة التي تكافئ الخطيئة بالخطيئة. إنّها تنصّ على مجازاة العين بالعين والسن بالسن، أي: معاقبة القاتل بالقتل[1]. إذ يرتكب الذي يعاقب القاتل بالقتل خطيئة لا تقل ظلمـًا عن خطيئة الفاعل الأول إذا تغير ترتيب [القتل]، لأنّ الفعل في الحالتين واحد[2].

5. كان هذا الحدّ، ولا يزال، قصاصـًا، لأنه سُنَّ بسبب ضعف هؤلاء، الذين أُنْزِلَتْ الشريعة من أجلهم، فارتكبوا بسَنِّهِ تجاوزًا بحقّ الشريعة الإلهيّة الخالصة. إنّه حدٌّ لا ينسجم البتّة مع طبيعة الإله الأب، ومع رحمته[3].

6. ربّما كان ذلك الحدُّ طبيعيـًّا، وربّما كان ضرورةً. لأنّ الذي لا يبيح القتل تطبيقـًا لقوله "لا تَقتُلْ"[4]، يَسْتَنُّ، بإعطائه أمر قتل القاتل، شريعةً ثانيةً، ويميز بين قَتلَيْن. بذلك أباح الذي حرَّمَ القتل لنفسه أن يصبح ضحيّة للضرورة.

7. لذلك قام الابن [= المسيح]، الذي صدر عن [الإله] الآخر، بحلِّ هذا الجزء من الشريعة وذلك على الرَّغم من تسليمه بأن ذلك الحدّ[5] من عند الله، وذلك في الوقت الذي يحسب هذا الجزء مع الأجزاء التي تحسب من العهد القديم، خصوصـًا عندما يقول: "من لم يكرم أباه أو أمه فليقتل قتلاً"[6].

8. أمّا الجزء الرمزيّ من الشريعة، والذي نشأ نتيجة للعالم الروحانيّ والغيبيّ، فهو الجزء الذي سُنَّ نتيجة لظروف وحالات معيّنة. وأعني بذلك الحدود المتعلّقة بالقربان والختان والسبت والصوم والفصح والخبز الفطير وما أشبه ذلك من السنن[7].

---

[1]- انظر سفر اللاويّين/ الأحبار، الإصحاح الرابع والعشرين، الآية العشرين: "الكسر بالكسر والعين بالعين والسنّ بالسن، كالعيب الذي يحدثه في الإنسان يُحدث فيه".

[2]- ربّما كان مردّ اعتقاده إلى كون المسيحيّة في عهده دينًا مضطهدًا، لأنّ الشريعة السارية آنذاك كانت شريعة رومة. وقد تغير الاعتقاد بعدما حكمت الكنيسة، وصارت تقيم الحدود. وقول بطليموس إنّ الذي يقيم الحدّ على القاتل بقتله قاتل بدوره قول فاسد؛ لأنّ إقامة الحدّ على القاتل من صلب عقيدة الوحي.

[3]- راجع الحاشية السابقة.

[4]- سفر الخروج، الإصحاح العشرون، الآية الثالثة عشرة.

[5]- أي العين بالعين والسنّ بالسنّ.

[6]- سفر الخروج، الإصحاح الواحد والعشرون، الآية السابعة عشرة: "ومن لعن أباه أو أمه فليقتل قتلا".

[7]- بطليموس، بصفته يونانيًا، يحيل كلّ ما لا يعجبه من القوانين اليهوديّة إلى عالم الغيبيات.

9. إنّ هذه السُّنَن رموزٌ تمّ تحويلها، بعد ظهور المخلّص، تحويلاً؛ فأُلْغِيَتْ ظاهريـًا، واحتُفِظَ بها روحانيـًّا. بقيت الأسماء كما هي، ولكنّ المسميات تغيّرت[1].

10. أجل، الله أمرنا بتقريب القرابين، ولكن ليس من خلال البهائم التي لا تعقل، وليس بحرق البخور، بل بواسطة الحمد الروحانيّ، والتمجيد، والشكر، وإيثار الآخرين والإحسان إليهم.

11. كما يريد الله منّا أن نختتن، ولكن ليس بإزالة القُلْفَة عن الذكر، بل بتطهير القلب بالروح[2].

12. كما يريد بالسَّبْتِ منّا أن نبتعد من كلّ الأعمال الشريرة.

13. أمّا بالصوم، فإنّ الله لا يريد منّا أن نصوم صومـًا جسديـًا، بل يريد منّا صومـًا بالروح، أي الامتناع عن الشر وما إليه.

نعم، يصوم الناس عندنا صومـًا جسديـًا؛ وهذا الصوم مفيد للروح إذا أُعْمِلَ العقل في اتباعه، أي: إذا لم يلتزم الناس به من أجل استفزاز الآخرين، أو من أجل العادة، أو إحياء لذكرى يوم ما، حتّى وإن كان ذلك اليوم يستحقّ ذلك.

14. نصوم نحن، في الوقت نفسه، [صومـًا ظاهريـًا] للتذكير بالصوم الحقيقيّ، لأنّ هؤلاء الذين لا يستطيعون أن يصوموا [صومـًا حقيقيـًا]، يستذكرون بالصوم الجسدي الظاهريّ، ذلك الصوم الحقيقيّ الذي نعنيه.

15. الأمر نفسه ينطبق على الفصح والخبز الفطير. لقد أبان القدّيس بولص ضرورة اعتبارهما صورةً روحانيةً بوضوح حين قال: "فإنّه قد ذُبِحَ فِصحُنا، المسيحُ، لكي تصبحوا فطيرًا [حلوًا] بدون خمير". ولا يقصد القدّيس بولص بالخمير "الفطير الحلو" [كما يفهمه اليهود]، بل يقصد الشر[3].

---

[1]- يحتفل اليهود والنصارى بالفصح بطريقة مغايرة. ولكلّ من الطائفتين تفسير مخصوص بالفصح.

[2]- انظر رسالة القدّيس بولص إلى أهل روميّة، الإصحاح الثاني، من الآية الخامسة والعشرين حتّى نهاية الإصحاح، حيث يلغي القدّيس بولص جميع نواميس اليهوديّة ذات الصلة بالختان بتفسيرها تفسيرا باطنيًّا.

[3]- انظر رسالة القدّيس بولص الأولى إلى أهل كورنتس، الإصحاح الخامس، من الآية السادسة حتّى الآية الثامنة.

1.6. إذن: بذلك تصبح التوراة مكوّنة من ثلاثة أجزاء مختلفة، أحدها الجزء الذي أكمله المخلّص، لأنّ قوله "لا تقتل، لا تَزنِ... لا تشهد شهادة الزور"[1]، متضمن في قوله "لا تغضب... لا تَشْتِمْ... لا تَحْلِف"[2].

2. وثانيها هو ذلك الجزء الذي نُسِخَ بأكمله، لأنّ "العين بالعين والسنّ بالسنّ" تتضمّن الظلم وفعل الظلم... لذلك نسخه المخلّص وأحلَّ محله نقيضه.

3. لأنّ "النقيض" ينسخ نفسه بالتساوي: "أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشرير بل من لطمك على خدّك الأيمن فحوّل له الآخر"[3].

4. وآخرها هو الجزء الذي حُوِّلَ من العالم الجسمانيّ الظاهريّ، إلى العالم الروحانيّ الباطنيّ، صورةً رمزيّةً للأشياء الغيبيّة الخاصّة.

5. لأنّ الصور والرموز تدل على أشياء أخرى، فكانت لها وظيفتها الجيّدة في غياب الحقيقة. وبما أنّ الحقيقة حاضرة الآن، فإنّه ينبغي اتّباع نور الحقيقة، لا الصور والرموز[4].

6. لقد أبان رسلُ المسيح، وكذلك بولص الرّسول، هذه الحقائق، وذلك بتفسيره [بولص] معاني الفصح والخبز الفطير تفسيرًا مجازيًا. من ثَمَّ وصفه جزءَ الشريعة الذي امتزج بالظلم بقوله: "وأبطلَ [المسيحُ] ناموسَ الوصايا..."[5]، وكذلك وصفه جزءَ الشريعة التي لم تمتزج بالظلم بقوله: "فالناموس إذن مقدّس والوصيّة مقدّسة وعادلة وصالحة"[6].

1.7. ويمكن القول باختصار أنّي أبنتُ لك بما فيه الكفاية بأنّ الشريعة [التوراة] التي أضافها الناس أو التي أنزلها الله، مكوّنة من ثلاثة أجزاء مختلفة.

---

[1]- انظر سفر الخروج، الإصحاح العشرين، الآية الثالثة عشرة فما بعدها.

[2]- انظر إنجيل متّى، الإصحاح الخامس، الآية الحادية والعشرين فما بعدها. ويقصد بطليموس بأن قول المسيح في إنجيل متى أشمل من نصوص الوصايا العشر؛ لأنّ أقواله في إنجيل متى جدل مع تلك الوصايا قصد إبطالها.

[3]- إنجيل متى، الإصحاح الخامس، الآية التاسعة والثلاثون.

[4]- يقصد بطليموس: لا تفيد الطقوس اليهودية، بصفتها رموزًا ترمز إلى الحقيقة، شيئًا مع وجود الحقيقة (ويقصد بها المسيح) ذاتها. فالطقوس، برأيه، رموز تشير إلى الحقيقة. فإذا ظهرت الحقيقة، انتفت الحاجة إلى وجود ما يشير إليها.

[5]- انظر رسالة القديس بولص إلى أهل أفسس، الإصحاح الثاني، الآية الخامسة عشرة.

[6]- انظر رسالة القديس بولص إلى أهل رومية، الإصحاح السابع، الآية الثانية عشرة.

2. والسؤال المطروح الآن هو: من هو ذلك الإله، الذي أنزل تلك الشريعة؟ وأعتقد بأنّي أجبت على هذا السؤال في ما تقدّم من برهنة، هذا إذا كنتِ أصغيتِ لما تقدّم بالتمعن المطلوب.

3. لأنه، إذا لم تكن التوراة من عند الإله الحقّ، ولم تكن من عند الشيطان [كما يعتقد بعضهم] – وهو رأي فاسد – فإن النتيجة الحتميّة هي أن التوراة من عند شخص ثالث يكون غير الاثنين [= الإله الحق والشيطان].

4. إنّه [= الشخص الثالث] هو خالق هذا العالم وكل ما فيه. هو إله مختلف على الاثنين المذكورين أعلاه [= الإله الحق والشيطان]. إنّه إله يكون بين الاثنين، ويقيم في الوسط، لذلك أطلق عليه اسم "الوسط".

5. فإذا كان الإله الحق إلهـًا رحيمـًا عادلاً بطبعه – وهو إله رحيم عادل بطبعه – لأنّ المخلص كان يسمّي الإلهَ الحقَّ الرحيمَ "أباه"، وهو الإله الذي أراه بنفسه؛ وإذا كان الإله ذو الطبيعة المتناقضة إلهـًا شريرًا وظالمـًا، فإنّ الإلهَ الموجودَ في الوسط، والذي ليس عادلاً ولا ظالمـًا، الإلهُ الذي يمكن إطلاق اسم "العدل" عليه، الإلهُ الذي يجازي الإحسان بقدره.

6. إن هذا الإله [الذي في الوسط] أَقَلُّ مرتبةً من الإله الحق الكامل، وعدلَه أقلُّ من عدل الإله الحق، لأنه حادث وليس بقديم. إنّ الإله الحقّ – الأب – قديمٌ، وكلُّ شيء يحتاج إليه، لأنّ كلّ شيء صدر عنه. وإنه [الإلهُ الحق]، كذلك، أكبر من العدو [الشيطان]، وأَقْوَمُ منه. إنّ للإله الحق ذاتاً أخرى غير ذات الاثنَيْن الآخَرَيْن [الإله الذي في الوسط والشيطان]، وطبيعةً أخرى غير طبيعتيهما.

7. إنّ ذات العدوّ ذات شرّيرة ومظلمة، لأنه مادي تعتريه التجزئة والقسمة. أمّا ذات الإله القديم، أبي الكون، فهي بقاءٌ سرمديٌّ، ونورٌ بسيط ومتحد، قائم بذاته. لقد صدر عن طبيعته قوّتان اِثنتان. أمّا صورته هو، فتبقى خيرًا من سائر الصور.

8. ولكن لا تشغلي بالك الآن في هذا الأمر، خصوصًا وأنك تريدين أن تتعلمي كيف نشأت هاتان الطبيعتان عن مصدر الأشياء الأول – وهو إله الخير القديمُ الذي ليس بحادثٍ كما نؤمن ونعتقد – أقصد طبيعَةَ الإله الذي في الوسط وطبيعةَ الإله الشرير الحادث الذي ليس

بقديم، وهما الطبيعتان المختلفتان عن طبيعة إله الخير القديم، ذلك أن طبيعة الخير تقتضي أن يكون كلّ ما يصدر عن الخير خيرًا يعادله، وألا ينتج الخيرُ إلا خيرًا مثله.

9. سوف تتعلّمين فيما بعد – عندما يأذن الله لك وعندما تتشبّعين برسالة الإنجيل التي تلقّيناها – ما هو مصدر هاتين الطبيعتين [طبيعَةِ الإله الذي في الوسط وطبيعةِ الإله الشرير الحادث]، ذلك لأنّنا نقيس كلّ ادّعاء كان وكل زعم كان بما جاء في رسالة مخلّصنا [المسيح][1].

10. وهكذا، يا أختي فلورة، شغلتُ نفسي بشرح هذا الموضوع لك بإيجاز؛ ومع ذلك فإنّي أظنُّ أنّي وفّيتُ هذا الموضوع حقّه. سوف يفيدك شرحي هذا كثيرًا في المستقبل، وخصوصًا عندما تصبحين مثل الأرض الخصبة الطاهرة التي تُغرس فيها الحبوب المثمرة.

نهاية رسالة من بطليموس إلى فلورة".

3. مفهوم الإله عند بطليموس:

1.3. تمهيد:

نلحظ من خلال استقراء النصّ أنّ بطليموس يجتهد اجتهادًا كبيرًا ليبرهن لفلورة المسيحيّة أنّ إله المسيحيّة الرحيم إله مختلف عن إله اليهودية الجبّار. إنّ وسم إله المسيحيّة بالرحمة وإله اليهود بالجبروت أمر لاهوتيّ، لفت أنظار آباء الكنيسة منذ بداية العهد المسيحيّ، فحاولوا التوفيق بين الصورتين المختلفتين للإله المعبود بحقّ، ولم يقدروا، ذلك لأنّ الفرق بين صورة الإله المعبود بحقّ كما وردت في أسفار اليهود، وصورته كما وردت في الأناجيل وأعمال الرسل، كبير نسبيًّا.[2] لذلك جعل آباء الكنيسة ما كان قبل مجيء المسيح "عهدًا قديمًا" وفسّروه على أنّه حلقة مهمّة من سلسلة التاريخ الدِّينّي للإنسانيّة قبل ظهور المسيحيّة ينبغي أخذها "على علّاتها"، ذلك لأنّ "العهد الجديد" الذي بشَّر به المسيح ألغى "العهد القديم"، وألغى "علّاته" معه. وكانت هاتان الصورتان للإله المعبود بحقّ عند اليهود والنصّارى تكوّنتا نتيجة للجدل بين اليهود والنصّارى في بداية العهد المسيحيّ. ويبدو هذا الجدل جليـًا في الأناجيل عمومـًا، وفي

---

[1]– أي الإنجيل.

[2]– نسمي "اللغات السامية" في هذه الدراسة وغيرها بـ "اللغات الجزيرية". وقد وضع هذا المصطلح الباحث العراقي طه باقر وعلّله. انظر طه باقر، 17:1980.

رسائل القدّيس بولص خصوصـًا، وكذلك في أعمال الكتّاب المسيحيّين الأوائل، ومنها رسالة بطليموس التي بين أيدينا، وهو الجدل الذي جعل القدّيس بولص يلغي جميع الشرائع اليهوديّة، بما فيها شريعة الختان،[1] والذي جعل بطليموس الغنوصيّ يعتقد بوجود إلهين اثنين مختلفين اختلافـًا جذريـًّا عن بعضهما كما نرى في رسالة بطليموس إلى فلورة.

إذا نحن الآن إزاء إلهين اثنين، أحدهما رحيم والآخر جبّار، وبينهما الشيطان الرجيم الذي يعتبره بطليموس إلهًا ثالثًا. فمن هما هذان الإلهان الاثنان؟ ومن منهما إله المسيحيّة الرحيم، ومن منهما إله اليهوديّة الجبّار؟

قبل الإجابة على هذا السؤال ينبغي التمييز جيّدًا بين أمرين اثنين: الأول لغويّ والآخر لاهوتيّ. ويتعلق الأمر اللغويّ باشتقاق الأسماء الدالة على الإله التي استعملها كلّ من اليهود والنصّارى من جهة، بينما يتعلق الأمر اللاهوتيّ بحقيقة الإله المعبود في الديانتين من جهة أخرى. والتمييز بين هذين الأمرين جدًّا مهمٌّ كما سيتبيّن لنا لاحقًا.

2.3. أسماء الإله المعبود عند اليهود والنصّارى:

إنّ الأسماء التي استعملها اليهود والنصّارى للدّلالة على الإله المعبود بحقّ عندهم مشتقة من كلمات جزيرية[2] لأنّ اللغات التي دوِّنت بها الأسفار المقدسة لغاتٌ جزيريّة هي العبريّة والآراميّة (أسفار العهد القديم) والسريانيّة (الإنجيل/الأناجيل) والعربيّة (القرآن الكريم). والأسماء التي استعملها اليهود في أسفار العهد القديم هي /إِلُوهِيم/ و/ يهوه/ و/ إِيل/ و/ شَداي/ . وأتوقّف قبل النّظر في هذه الأسماء عند اشتقاق / إلوهيم/ دون التعرض لمعنى الجذر الأصليّ له لأن معناه مجهول.

---

[1]- انظر Davies W.D. (1965).

[2]- نريد باللغات الجزيرية "اللغات السامية". وأول مَن أطلق مصطلَح (اللغات الجزيرية) على اللغات السامية عالمُ الآثار العراقي الأستاذ طه باقر في كتابه (من تراثنا اللغوي القديم – ما يسمّى في العربية بالدخيل). انظر انظر باقر طه، 1980، الصفحة 17.

لكلمة "إله" في اللغات الجزيريّة جذران اثنان هما:

الجذر الأول: / إل+ل/ . الأكّاديّة: / إِلُّ(م)/ ؛ العبريّة אל = / إِيل/ ؛ الفينيقيّة والأوغاريتيّة: / إلّ/ ؛ السريانيّة: ܐܠܗ = / إيلا/ ؛ العربيّة: / إِلُّ/ وهو الله سبحانه وتعالى[1]. ويؤنّث هذا اللفظ في العربيّة وفي اللغات الجزيريّة على / إِلَّةٌ/ .

واسم مدينة "بابل" بالأكّاديّة: / باب إِلِّي(م)/ أي "باب الآلهة".[2] ويرد الاسم في العبريّة كثيرًا في أواخر الأسماء مثل اسماعيل وميكائيل وإسرائيل، وورد في العربيّة في أسماء كثيرة مثل ياليل وشرحبيل. وورد / إِلُّ/ كثيرًا في النقوش العربية القديمة ومنها هذا النقش الصفائي من شمال الجزيرة العربية[3]:

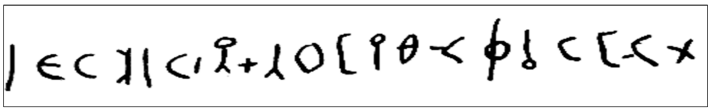

من اليسار إلى اليمين: ل ح ب ب إ ل / ب ن / ص ت / ه ج ر ي / و س ق ي / ب ر ك ت (= مجرى الماء وبركة السقي لِحُبْئِلّ بن صَت).

الجذر الثاني: / إل+ه/ . العبريّة: אלוה = / إِلُوَه/ (elōah)، وانحراف اللفظ في العبريّة مصدره انقلاب ألف المد قبل حروف الحلق إلىōa. وهذا اللفظ نادر الورود في التوراة بالمفرد وكثير الورود فيها بصيغة الجمع هكذا: אלהים = / إِلُوهِيم/ . ويرى علماء التوراة في جمع اسم الإله فيها مشكلة لاهوتيّة عويصة، ويرى بعضهم أنّ ذلك "جمع جلالة"؛ الآراميّة والسريانيّة ܐܠܗܐ = / إلاها/ "الإله"، والألف نهاية الكلمة الآراميّة/السريانيّة للتعريف؛ العبريّة: / إله/ ، / إلاه/. وأصل لفظ الجلالة "الله": الإله. وحذفت الهمزة وفخمت اللام في اللفظ

---

[1]– انظر معنى / إِلِّ/ في الآية الكريمة: (لا يرقبون في مؤمن إِلًّا ولا ذِمّة). سورة التوبة الآية 10. وكذلك قول أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه عندما تُلي عليه بعض من كلام مسيلمة: (إنّ هذا لشيء ما جاء به من إِلِّ). انظر مادة (ألل) في لسان العرب. وقد نصَّص أوائل المفسرين مثل مجاهد وغيره على أن الإلّ في سورة التوبة هو الله وليس العهد كما يذهب أكثر المفسرين.

[2]– ولا علاقة لاسم "بابل" بحكاية بلبلة الألسن الواردة في التوراة، فهذا اشتقاق شعبّي.

[3]– انظر Oxtoby W. G. (1968)، الصفحة 97 (رقم النقش في الملحق: 366).

للتوكيد الشديد على تفرد اللفظ، للدلالة على الإله المعبود بحقّ تمييزًا للاسم من غيره من الأسماء التي تطلق على الأوثان. ومن ثمّ استعمل للعلميّة.

إذن نحن إزاء جذرين اثنين أحدهما ثنائيّ والآخر ثلاثيّ. وربما يكون الجذر الثنائيّ هو الأصل فأضيفت إليه الهاء كما أضافوها إلى الأم (/ أم/ – / أمه/) وذلك في بعض اللغات الجزيريّة أيضًا مع فارق أنّ هاء / أمّ/ في العربيّة واللغات الجزيريّة لا تظهر فيها إلّا في حالة الجمع[1].

والنّظريّات السائدة لدى علماء الاشتقاق في اللغات الجزيريّة هي أن معنى الجذر / إ ل ه/ الأصليّ موجود في الجذر الجزيري / وله/ بمعناه في العربيّة، أو في الجذر الجزيريّ / أول/ بمعناه في العربيّة والأكّاديّة،[2] أو في / أ ل ه/ العبريّ بمعنى "قوي"، أو في الفعل العربيّ / أَلِهَ/ [3]. والمعنى الأصلي للجذر مجهول.

1. אלהים = إِلُوهِيم

وأما / إلوهيم/ ، وهو أكثر الأسماء الدّالة على الإله المعبود بحقّ عند اليهود ورودًا، فقد ورد مجرّدًا من أداة التعريف (هـَ / ها) للعلميّة: אלהים = / إلوهيم/ . و/ إلوهيم/ هو جمع لفظة: אלוה = / إِلُوَه/ "إله" في اللغة العبريّة. انظر الآية الأولى من سفر التكوين:

---

[1]– تجمع (أُمٌّ) في العربيّة على أُمَّات وأُمَّهات. جاء في لسان العرب (مادة: أمم): (الأُمَّهات) فيمن يعقل، و(الأُمّات) فيمن لا يعقل، فالأُمَّهات للناس والأُمَّات للبهائم. ومن الجدير بالذكر أنّ إضافة الهاء في جمع / أمّ/ مطّردة في السريانيّة والعبريّة وغيرهما من اللغات الجزيريّة (مثلاً: אם – אמהות = إم – إمهوت)، إلا أنّ العربيّة تفرّدت باحتفاظها بالشكلين معاً: (أُمّات) وهي الأصل، و(أُمّهات) وهي الفرع الذي طغى على الأصل في الاستعمال وذلك دون إلغاء الأصل في الدلالة على الآدميات من الأمهات مثل قول جرير في هجاء الأخطل: (لقد وَلَدَ الأُخَيْطِلَ أُمُّ سَوْءٍ --- مُقَلَّدة من الأُمَّاتِ عارًا)، أو الفرع في الدلالة على البهائم مثل قول ذي الرمة: (رَمى أُمَّهات القُرْدِ لَذْعٌ من السَّفا --- -- وأَحْصَدَ من قِرْبانِه الزَّهَرُ النَّضْرُ).

[2]– وأما لفظ الجلالة في الإسلام (الله) فأصله: الإله. وحذفت الهمزة وفخمت اللام في اللفظ للتوكيد الشديد على تفرد اللفظ في الدلالة على الإله المعبود بحقّ تمييزاً للفظ عن غيره من الأسماء التي تطلق على الأوثان. وعليه فإني أميل إلى الاعتقاد أن لفظ الجلالة لم يكن علماً في الأصل بل أصبح علماً للدلالة على الإله المعبود بحقّ، وهو الاسم الذي يستعمله المسلمون والمسيحيّون العرب واليهود المستعربون للدلالة على الإله المعبود بحقّ عندهم.

[3]– لخّص المستشرق الألمانيّ نولدكة في كتيبه "بحث جديد في علم اللغات السامية" (1910) .Nöldeke Th كل الآراء المتعلّقة باشتقاق / إل/ و/ إله/ .

בְּרֵאשִׁית בָּרָא אֱלֹהִים אֵת הַשָּׁמַיִם וְאֵת הָאָרֶץ. النقحرة: بِرِيشِيتْ بارا إِلُوهِيم إِتْ هاشَّمايْم وِإِتْ هاآرِصْ. التّرجمة الحرفية: "في البدء بَرَأَ/ خَلَقَ اللهُ السماواتِ والأرضَ".

كما ورد في الآية الأولى من الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين محلّى بأداة التعريف التي تخرجه من العلميّة – ولو مجازًا – لتؤكّد على كونه صيغة جمعٍ عادية:

וַיְהִי אַחַר הַדְּבָרִים הָאֵלֶּה וְהָאֱלֹהִים נִסָּה אֶת אַבְרָהָם וַיֹּאמֶר אֵלָיו אַבְרָהָם וַיֹּאמֶר הִנֵּנִי. النقحرة: وَيْهِي أَحَر هادباريم هاإِلِّه وهاإلوهيم نِسَّى إِتْ أبراهام وَيُومِر إِلاو: أبراهام. وَيُومِر: هِنّني. التّرجمة الحرفيّة: "وكان بعد هذه الأمور أنّ الله امتحن إبراهيم وقال له يا إبراهيم، فقال [إبراهيم]: لبّيك".

ونرى في هذه الآية أنّ الكلمة الدالة على الإله المعبود بحقّ في التوراة – وهي أكثر الكلمات ورودًا في التوراة للدلالة عليه – قد وردت بصيغة الجمع، مرة علمـًا وأخرى جمعـًا عاديـًا كما تبيّن من الآيتين أعلاه. وقد شكّل ذلك منذ البداية مشكلة لاهوتيّة عويصة لعلماء التوراة من النصّارى واليهود، ففسروا / إلوهيم/ على أنّه "جمع جلالة" (pluralis majestatis). ويُعتقد أنّ التفسير المنطقيّ الوحيد لهذه المشكلة اللاهوتيّة العويصة يجب أن يُبحَث عنه في ارتداد بني إسرائيل إلى الشرك بعد عبادتهم العجل في سيناء، لأنّهم كانوا على التوحيد على زمان النبيّ موسى ثمّ ارتدّوا في سيناء، ثمّ عادوا إلى التوحيد من جديد، وهذا كلّه موجود في التوراة التي بأيدينا اليوم (سفر الخروج). وبما أنّ التوراة التي أنزلت على موسى غير موجودة اليوم بنصّها الأصليّ، وأن نصّ التوراة الحالي تمّ تقنينه – بإجماع علماء اليهود والنصّارى – بعد السبي البابليّ في القرن السادس قبل الميلاد، فإنّ شيئـًا لا يحول دون الاعتقاد أنّ اليهود تشبعوا بالشرك في بلاد بابل وآشور إبّان السبي البابلي، خصوصـًا أنّهم كانوا ارتدّوا إلى الشرك في حياة موسى حينما كان على الطّور في سيناء، فما الذي يمنع من ارتدادهم إلى الشرك بعد موته بألف عام؟ إن تشبعـًا بالشرك كهذا هو الذي يبرر جمع اسم الإله المعبود بحق عندهم على / إلوهيم/ ، إذ لا يعقل أن يُعتَقَد أن جمعـًا كهذا كان على أيام النبي موسى. ومن الثابت أيضًا أنّ النصّ العبريّ للتوراة كان في مرحلة ما إبّان السبي البابليّ يورد الأفعال التي كان جمعُ الإله على / إلوهيم/ يرد فاعلاً لها بصيغ الجمع مثل لغة "أكلوني البراغيث"، وأنّ الصفة في العبريّة تتبع الموصوف في جميع حالاته (مثل العربيّة)، بحيث ينعت المفرد بالمفرد والجمع بالجمع كما سيتبيّن لنا من المثالين التاليين.

جاء في سفر التكوين، الإصحاح العشرين، الآية الثالثة عشرة:

וַיְהִי כַּאֲשֶׁר הִתְעוּ אֹתִי אֱלֹהִים מִבֵּית אָבִי וָאמַר לָהּ זֶה חַסְדֵּךְ אֲשֶׁר תַּעֲשִׂי עִמָּדִי: אֶל כָּל-הַמָּקוֹם אֲשֶׁר נָבוֹא שָׁמָּה אִמְרִי-לִי אָחִי הוּא. النقحرة: وَيْهِي كَأَشِر هِتْعوا أوتي[1] إلُوهِيم مِبِيت أبي، وَأُومِر لَهْ زِه حَسْدِيك أَشِر تَعَسِي عِمَّادي: إلْ كلّ هَمَّاقُوم أَشِر نَبُوء شامّاه، إمْري لي: آخِي هُو. التّرجمة الحرفية: "وكان عندما أتاهوني الآلهة من بيت أبي أن قلت لها: هذا معروفك الذي تصنعين إلي في كلّ مكان ندخله: قولي عني هو أخي".

هِتْعوا أوتي إلُوهِيم: "أتاهوا إيايَ الآلهة" على لغة "أكلوني البراغيث" لأنها كانت ولا تزال القاعدة في اللغات الجزيريّة. وكانت العربيّة عطلتها لالتقاء الفاعِلَيْن، وهو تطوّر لغويّ مخصوص بالعربيّة دون سائر اللغات الجزيريّة. فورد الفعل هِتْعوا (= أتاهوا) بصيغة الجمع لأنّ الفاعل هو إلوهيم جمع / إلُوَه/ "إله". ولو كان هذا جمع جلالة لما استبدلوا باطّراد صيغة الجمع في الأفعال الواردة مع / إلوهيم/ بصيغة المفرد على أساس أنّ / إلوهيم/ لفظ مفرد.

وقال في سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح الخامس الآية الثانية والعشرين (الآية الرابعة والعشرون في ترجمة فنديك):

כָּל-בָּשָׂר אֲשֶׁר שָׁמַע קוֹל אֱלֹהִים חַיִּים. النقحرة: كلّ بَاسَار أَشِر شَامَع قُولْ إلُوهِيم حَيِّيم. التّرجمة الحرفية: "كلّ البشر الذين سمعوا صوت الآلهة الحيّة".

فنعتت هذه الآية إلُوهِيم بـ (حَيِّيم) وهذا الثاني جمع (حَيّ) في العبريّة وهذا محال في "جمع الجلالة" لأنّ جمع الجلالة يكون مثل "نحن، جلالة الملك فلان نصدر المرسوم التالي" وليس "نحن جلالة الملوك فلان نصدر المرسوم التالي". وليس بين جموع الجلالة المستعملة في اللغات الجزيريّة والهنديّة الأوربيّة لغة تبيح مثل ذلك.

---

[1]- أوتي = إياي. إنّ الحرف את أداة نصب في العبريّة ترد قبل المفعول به، وتجانس في العربيّة ضمير النصب "إيّا" في "إيّاك نعبد وإياك نستعين الآية"، مع فارق أنّها لا تأتي في العربيّة إلا مع ضمائر النصب التي تكون بدلاً من الاسم المنصوب لتوكيده، بينما تستعمل في العبريّة مع الضمائر: (א(ו)תנו= إيانا)، ومع الاسم المفعول به كما نقرأ في الآية الأولى من سفر التكوين: (בראשית ברא אלהים את־השמים ואת־הארץ: بِرِشِيت بَرَا إلُوهِيم إتْ هاشَّمايْم وإتْ هاإرِصْ "في البدء برأَ/ خلقَ اللهُ السماوات والأرض"). فالمفعولان بهما (هاشمايم "السماوات" وهاأرص "الأرض") مسبوقان بأداة النصب את. وقد حكي عن العرب قولهم: (إذا بلغ الرجل الستين فإياهُ وإيَّا الشَّوابِّ) فجاءت "إيّا" غير مضافة إلى ضمير نصب كما هي الحال عليه في العبريّة. انظر مادة (إيّا) في لسان العرب.

2. יהוה = / يهوه/ .

ورد اسم / يهوه/ اسمَ علم للإله المعبود بحقّ. ولأنّ التلفظ بالاسم / يهوه/ محرّم على اليهود فإنّ أحدًا لا يعرف كيف كان يلفظ، لذلك ينطق اليهود بدلاً عنه أثناء تلاوة التوراة بلفظين اثنين هما: השם = / هاشِّم/ أي: "الاسم" أو אדני = / أدوناي/ أي: "السيّد، الربّ".[1] أمّا في أدبيّات الكتاب المقدّس فيشار إليه بـ Tetragrammaton (من اليونانيّة τετραγράμματον أي "الأحرف الأربعة"). وأما نطق الاسم بـ (جِهوفا) أو (Jehovah)، فهو نطق يفترض أن / يهوه/ هو مضارع الفعل הוה = / هوى/ "كان" في العبريّة، وهو الافتراض المبنيّ بدوره على الآيَتَيْن الثالثة عشرة والرابعة عشرة من سفر الخروج في التوراة وهما:

וַיֹּאמֶר מֹשֶׁה אֶל-הָאֱלֹהִים הִנֵּה אָנכִי בָא אֶל-בְּנֵי יִשְׂרָאֵל וְאָמַרְתִּי לָהֶם אֱלֹהֵי אֲבוֹתֵיכֶם שְׁלָחַנִי אֲלֵיכֶם; וְאָמְרוּ-לִי מַה אמַר אֲלֵהֶם. יד וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים אֶל-מֹשֶׁה אֶהְיֶה אֲשֶׁר אֶהְיֶה; וַיֹּאמֶר כֹּה תאמַר לִבְנֵי יִשְׂרָאֵל אֶהְיֶה שְׁלָחַנִי אֲלֵיכֶם. النقحرة: وَيُومِر مُوشِه إِلْ هاإِلوهُيم هِنِّي أَنُوكِي با إِلْ بْنِي يِسْرائِيل وِآمَرْتِ لاهم إِلُوهِي أَبُوتِيكِم شِلاحْنِي أَلِيكِم وِآمْروا لِي ما شِمُو، ما أُومِر أَلِيهِم؟ وَيُومِر إِلُوهِيم إِلْ مُوشِه إِهْيهْ أَشِرْ إِهْيهْ (ehyeh ašer ehyeh) كُهْ تُومَر لِبْنِي يِسْرائِيل: إِهْيهْ شِلاحْنِي أَلِيكِم. التّرجمة الحرفية: "وقال موسى للإله ها أنذا الآن ذاهب لبني إسرائيل وقائل لهم: إنّ إله أبيكم أرسلني إليكم. فإذا سألوني: ما اسمه، ماذا أقول لهم؟ فقال الإله لموسى: [تقول لهم إنّ اسمي:] إِهْيهْ أَشِرْ إِهْيهْ. هكذا تقول لبني إسرائيل: إِهْيهْ [أَشِرْ إِهْيهْ] أرسلني إليكم".

3. אל = / إِيل/ .

אל = / إِيل/ ويجمع على אֵלִים = / إِيلِيم/ . انظر المزمور 29، الآية الأولى:

מִזְמוֹר לְדָוִד: הָבוּ לַיהוָה בְּנֵי אֵלִים הָבוּ לַיהוָה כָּבוֹד וָעֹז. النقحرة: مِزْمُورْ لِداوِيد: هابوا ليهوه بْنِي إِيلِيم. هابوا ليهوه كابُود وعُز. التّرجمة الحرفية: "قَدِّمُوا لِيَهْوه، يا بَنِي الآلهة! قَدِّمُوا لِيَهْوَه مَجْدًا وَعِزًّا".

---

[1]- تعني كلمة אדון / أَدُون/ "سيد"، وهي كلمة مستعارة من الفينيقيّة. ومنها اسم إله الجمال (أَدُونِيس) كما كان اليونانيّون ينطقونه. ولكلمة אדון / أَدُون/ مضافة إلى ضمير المتكلم المفرد في العبريّة استعمالان اثنان: (1) / أَدُونايْ/ : وتعني "إلاهي" وتنطق مكان نطق / يهوه/ كما تقدم؛ و(2) / أَدُونِي/ : وتعني "سَيِّدي" وتستعمل للناس فقط.

فالمزمور يخاطب المخاطَبين هنا بـ "أبناء الآلهة" وليس بـ "أبناء الله" على المجاز في القول كما يرى مترجم العهد القديم إلى العربيّة[1]، ذلك لأنّ אֵלִים = / إِيلِيم/ هذه هي جمع אל = / إل/ ، وهذه الأخيرة تعني- حسب كلّ المعاجم العبريّة والجزيريّة - "إله"، فيكون معنى בְּנֵי אֵלִים = / بْنِي إِيلِيم/ "أبناء الآلهة".

4. שַׁדַּי = / شَداي/ .

ورد שַׁדַּי = / شَداي/ في أماكن كثيرة من العهد القديم منها الآية الثالثة من الإصحاح الثامن والعشرين من سفر التكوين:

וְאֵל שַׁדַּי יְבָרֵךְ־אֹתְךָ. النقحرة: وِإِلْ شَدايْ يِبارِكْ أوتْكَ. التّرجمة الحرفية: "والإلهُ شَداي يُبارِكُكَ".

وهذا يعني بوضوح أنّ (شداي) اسم إله لأنّ النصّ يقول: "الإله شداي" مثلما نقول "الإله حداد" و"الإلهة عشتار" والإله جوبيتر" و"الإلهة أفروديت".. ولكن من يكون "الإله شَداي" هذا؟ لقد حار علماء التوراة بشأنه، فاعتبروه صفة غالبة، وفسّروه من الجذر العربيّ / شدد/ وقالوا بالتالي: إنّ معناه "الإله الشديد/ الجبار". إلّا أنّ حقيقة هذا الإله يجب أن يبحث عنها لدى الأكّاديّين والبابليّين والآشوريّين الذين سَبَوا اليهود، لأنّ البابليين كانوا يعبدون إلهًا اسمه / شَدُو/ وهو إله بابلي أخذ اليهود عن البابليّين عبادته زمان ردّتهم مثلما عبدوا لمدّة الإله الكنعانيّ الفينيقيّ / بعل/ ، مع فارق أنّ / شدو/ تهوَّد، بعكس / بعل/ الذي لم يتهود بسبب العداوة التي كانت بين اليهود وبين الفينيقيّين الذين كانوا يعبدون الإله / بعل/ .

أما مسيحيّو الغرب فيستعملون God/Dieu/Theos في اللغات الجرمانيّة واللاتينيّة واليونانيّة للدلالة على الإله المعبود بحقّ عندهم وذلك بغضّ النّظر عن الأصل العبريّ المستعمل في الكتاب المقدّس (إل/ إلوهيم/ يهوه/ شداي ...). وهذه الكلمات الثلاث ليست أسماء علم للإله المعبود بحقّ عند نصارى الغرب، بل كلمات مجردة للدلالة عليه. ومع ذلك فقد دأب مسيحيّو الغرب الذين ترجموا العهد القديم إلى اللغات الأوربيّة على ترجمة كلمة / إلوهيم/ العبريّة وغيرها من الكلمات الدّالة على الإله المعبود بحقّ بـ God "الإله"، بينما ترجموا / يهوه/ بـ The Lord "الربّ" وذلك في كلّ اللغات الأوربيّة. ودأبوا أيضًا على رسم هذه الكلمات

[1]- جاء في ترجمة فانديك العربيّة: "قَدِّمُوا لِلرَّبِّ يَا أَبْنَاءَ اللهِ، قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدًا وَعِزًّا". وهذه ترجمة فيها نظر.

بالحرف الكبير تمييزًا للإله المعبود بحقّ عندهم عن الأوثان، تمامـًا مثلما ميّز العرب ذلك بإضافة الألف واللام إلى "إله" بعد حذف همزتها وتفخيم لامها. والفرق بين الطريقتين هو أن التمييز في العربيّة يكون نطقـًا وكتابةً، أمّا في اللغات الأوربيّة فيكون كتابةً فقط؛ إذ لا تمييز في اللفظ بين أحرف صغيرة وكبيرة.

3.3. حقيقة الإله المعبود في الملّتين حسب بطليموس:

إذن نحن الآن إزاء ثلاثة آلهة: إله الحق والرحمة هو إله المسيحيّة، وإله الشر وهو الشيطان، وإله ثالث يكون بين إله الحق والرحمة من جهة، وإله الشر أو الشيطان الرجيم من جهة أخرى، لم يتشبع بالرحمة كلّيًـا ولا بالشر كلّيًـا، هو "إله العهد القديم"، إله اليهودية عند بطليموس. إنّه إله "لا عادل ولا ظالم" كما يقول بطليموس:

5.7. فإذا كان الإله الحقّ إلهـًا رحيمـًا عادلاً بطبعه – وهو إله رحيم عادل بطبعه – لأنّ المخلص كان يسمي الإلهَ الحقَّ الرحيمَ "أباه"، وهو الإله الذي أراه بنفسه؛ وإذا كان الإله ذو الطبيعة المتناقضة إلهـًا شريرًا وظالمـًا، فإنّ الإلهَ الموجودَ في الوسط، والذي ليس عادلاً ولا ظالمـًا، الإلهُ الذي يمكن إطلاق اسم "العدل" عليه، الإلهُ الذي يجازي الإحسان بقدره.

وهذا الإله حادثٌ وليس قديمـًا مثل إله المسيحيّة:

6.7. إنّ هذا الإله [الذي في الوسط] أَقَلُّ مرتبةً من الإله الحقّ الكامل، وعدلَه أقلُّ من عدل الإله الحقّ، لأنه حادث وليس بقديم. إنّ الإله الحقّ – الأب – قديمٌ، وكلُّ شيء يحتاج إليه، لأنّ كلّ شيء صدر عنه. وإنّه [الإلهُ الحق]، كذلك، أكبر من العدو [الشيطان]، وأَقْوَمُ منه. إنّ للإله الحق ذاتًا أخرى غير ذات الاثنَيْن الآخَرَيْن [الإله الذي في الوسط والشيطان]، وطبيعةً أخرى غير طبيعتهما.

إنّ هذا الإله الثالث هو الذي أوحى بالتوراة إلى موسى:

3.7. لأنه، إذا لم تكن التوراة من عند الإله الحقّ، ولم تكن من عند الشيطان [كما يعتقد بعضهم] – وهو رأي فاسد – فإنّ النتيجة الحتمية هي أن التوراة من عند شخص ثالث يكون غير الاثنين [= الإله الحق والشيطان].

لكنه لم يوح بكل التوراة إلى موسى، لأنّ للتوراة ثلاثة مصادر مختلفة:

1.4. يجب أن تعلمي قبل كلّ شيء أنّ الشريعة الموجودة في كتب موسى الخمسة ليست من عند إله واحد. أعني أنّ هذه الشريعة ليست كلّها واردة من عند إله واحد، لأنّ فيها حدودًا أضافها الناس إليها. وتُعلّمنا كلمات المخلّص أنّ هذه الشريعة ذات ثلاثة مصادر.

2. فالمصدر الأوّل هو الله وشرعه، والثاني هو موسى، ليس بصفته نبيًّا يوحى إليه، بل بصفته إنسانًا أضاف إلى الشريعة [الموحاة إليه] حدودًا من عندياته، والثالث هو أحبار الأمة الذين ارتأوا إضافة حدود بعينها إلى الشريعة [الموحاة].

وبهذا يبدو جليًا أن بطليموس يعتبر كلّ ما يتوافق في العهد مع تعاليم المسيح في الأناجيل من عند الإله الحق، إله الرحمة الذي بعث المسيح. أمّا شرائع التوراة التي تتعارض مع تعاليم المسيح في الأناجيل، مثل الطلاق مثلاً، فيعدّها بطليموس إضافات أضافها موسى إلى التوراة لاسترضاء قومه:

4. تحدّث المخلّص ذاتَ مرة مع أولئك الذين سألوه عن الطلاق المسموح به [في شريعة التوراة]، وقال: "إنّ موسى لأجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ولم يكن من البدء هكذا"، "لأنّ الله"، بحسب المخلّص، "جمع بين الزوجين، وما جمعه الله فلا يفرقه إنسان"[1].

أما المصدر الثالث والأخير لشريعة التوراة فهو إضافات الأحبار إلى الشريعة:

11. أمّا بالنسبة إلى وجود أحكام قام الأحبار بإضافتها إلى الشريعة [الموحاة]، فهذا واضح من قول المخلص: "أَكْرِمْ أباك وأمك لكي يطول عمرك في الأرض [التي يعطيك الربُّ إلهُك]".

لكنّ بطليموس يميّز جيدًا بين إلهين اثنين هما الإله الأعلى، إله الرحمة، "إله العهد الجديد" الذي بعث عيسى، و"إله العهد القديم" الذي بعث موسى بالشريعة التي أضاف إليها موسى من عندياته، ثمّ الأحبار من عندياتهم، كما ورد أعلاه. وما يهم بطليموس من التوراة هو الجزء الإلهي، وهو الجزء الحقيقي عنده، الذي أوحى به "إله العهد القديم" لموسى. وتتمثل

[1]- انظر إنجيل متّى، الإصحاح التاسع عشر، الآية السادسة فما بعدها: 6 "إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ». 7 قَالُوا لَهُ: «فَلِمَاذَا أَوْصَى مُوسَى أَنْ يُعْطَى كِتَابُ طَلاَق فَتُطَلَّقُ؟» 8 قَالَ لَهُمْ: «إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُمْ. وَلكِنْ مِنَ الْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هكَذَا».

مهمة المسيح – عند بطليموس – بالحفاظ على الجزء الإلهي وإكماله لأنه كان ناقصـًا، من جهة، وحلّ الجزئين المتكونين من إضافات موسى والأحبار، الممزوجَين بالشر ونسخهما، من جهة أخرى:

أما الجزء الإلهيّ من شريعة الله، فيُقسَّم بدوره إلى ثلاثة أجزاء: [أ] الشريعة الخالصة، التي لم تختلط بشر – والتي يصح تسميتها "بالشريعة الحقّة" – والتي لم يأت المخلص من أجل حَلِّها بل من أجل إتمامها، لأنّ ما أتمّه المخلّص منها لم يكن صادرًا عن مصدر آخر لكنه أتمّها لأنها كانت ناقصة. [ب] الشريعة المختلطة بالشرّ والظلم، وهي الشريعة التي حَلَّها المخلّص؛ لأنّها لا تنسجم مع طبيعته [اللاهوتيّة].

2. وأخيرًا [ج] الشريعة الرمزيّة التي نشأت نتيجة للعالم الروحانيّ والغيبيّ. لقد حوَّل المخلّص هذا الجزء من التوراة، ونقله من العالم الماديّ الحسيّ إلى العالم الروحانيّ الغيبيّ.

والجزء الإلهيّ الحقيقيّ في التوراة، هو الوصايا العشر فقط. مع ذلك يحتاج هذا الجزء إلى إكمال له لأنه ناقص:

3. إنّ شريعة الله الخالصة الحقّة، التي لم تمتزج بالشر والظلم، هي "الوصايا العشر"، التي أنزلت [على موسى] في لَوحَيْن لتحريم ما يجب على الإنسان تجنُّبه، والتحفيزِ على ما ينبغي على الإنسان فعله. مع ذلك احتاجت هذه الشريعة [الإلهيّة] إلى إتمام المخلّص لها، لأنّها لم تكن كاملة.

أمّا سائر التوراة فهي شريعة "امتزجت بالشر والظلم" ولا بدّ من نسخها:

4. إن الجزء الذي اختلط بالشر والظلم، هو تلك الشريعة التي تكافئ الخطيئة بالخطيئة. إنها تنصّ على مجازاة العين بالعين والسنّ بالسنّ، أي: معاقبة القاتل بالقتل. إذ يرتكب الذي يعاقب القاتل بالقتل خطيئة، لا تقلّ ظلمـًا عن خطيئة الفاعل الأولّ إذا تغير ترتيب [القتل]، لأنّ الفعل في الحالتين واحد.

5. كان هذا الحد، ولا يزال، قصاصـًا، لأنه سُنَّ بسبب ضعف هؤلاء، الذين أُنْزِلَتْ الشريعة من أجلهم، فارتكبوا بسَنِّهِ تجاوزًا بحقّ الشريعة الإلهية الخالصة. إنّه حدٌّ لا ينسجم البتّة مع طبيعة الإله الأب، ومع رحمته.

فلذلك نسخها المسيح:

7. لذلك قام الابن [= المسيح]، الذي صدر عن [الإله] الآخر، بحلِّ هذا الجزء من الشريعة وذلك على الرَّغم من تسليمه بأنّ ذلك الحدّ [23] من عند الله، وذلك في الوقت الذي يحسب هذا الجزء مع الأجزاء التي تحسب من العهد القديم، خصوصـًا عندما يقول: "من لم يكرم أباه أو أمّه فليقتل قتلاً".

يبدو من هذا كله أنّ بطليموس يوفّق بين شريعة العهد القديم وتعاليم العهد الجديد باعتبار كلّ ما ورد في العهد القديم مناقضـًا لتعاليم المسيح، ففي العهد القديم شريعة "ناقصة" صادرة عن إله "ناقص" موجّهة إلى شعب متعنّت عنتـًا اضطر موسى معه إلى إضافة أحكام جديدة إلى الشريعة لاسترضائهم. كما يبدو أيضـًا أنّ بطليموس يسلّم بواقعة قيام الأحبار بإضافة أحكام ونصوص جديدة إلى التوراة التي أصبحت بذلك ثلاثيّة المصدر. وبذلك يرمي بطليموس الذي تعبّر رسالته عن اتجاه لاهوتيّ سائد في عصره أحبارَ اليهود بتحريف التوراة، إلّا أنّه يفسّره – بصفته غنوصيـًّا متشبّعـًا بالفلسفة اليونانيّة – من خلال فلسفته العرفانيّة التي تسلم بوجود أكثر من إله واحد. فهو من جهة يسلم بوجود إله قديم رحيم هو إله عيسى، ويعتقد من جهة أخرى بوجود إله أقلّ قيمة من الإله الأول، ينسب إليه خلق العالم وإنزال الشريعة على موسى، ويراه حادثـًا ليس قديمـًا قدم الإله الأول. إنّ الإله الأوّل إله كامل قائم بذاته، وإنّ الآخر ناقص، وشريعته ناقصة مثله، تحتاج إلى إكمال يقوم به المخلّص الذي صدر عن الإله الأول. فجاء هذا المخلّص، وهو المسيح عيسى، وأكمل الشريعة كما يلي: حافظ على الجزء الحقيقيّ منها، ونسخ الجزأين اللذين أضافهما موسى والأحبار إليها، واستبدل أحكامهما بأحكام أكثر انسجامـًا مع طبيعة إله الرحمة القديم.

المراجع:

أ. مراجع باللغة العربية والعبرية:

- ابن منظور الإفريقي (بدون تاريخ). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- ترجمة فانديك = الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، وقد ترجم من اللغات الأصلية وهي اللغة العبرانية واللغة الكلدانية واللغة اليونانية. انتشر على يد جمعية التوراة البريطانية والأجنبية. طبع في بريطانيا العظمى. بدون تاريخ.

- الترجمة الكاثوليكية = الكتاب المقدس (1983). بيروت: منشورات دار المشرق.
- جعفر هادي حسن (1989). فرقة القرائين اليهود. بيروت/ لندن: مؤسسة الفجر.
- سعيد بن يوسف الفيومي (1893–1899). تفسير التوراة بالعربية. تحقيق يوسف ديرنبورغ. باريس. الكتاب مطبوع بالعنوان التالي: Derenbourg Joseph (1893-1899). Œuvres Complètes de R. Saadia Ben Iosef Al-Fayyoumi. Paris: Ernest Leroux, éditeur.
- طه باقر (1980). من تراثنا اللغوي القديم؛ ما يُسمّى في العربية بالدّخيل. بغداد.
- عبد الرحمن السليمان (2019). دراسات في اللغة والتأثيل والمصطلح. إربد: عالم الكتب الحديث.
- عبد الرحمن السليمان (2021). من شجون الترجمة. دراسات في الترجمة القانونية والترجمة الدينية وتكنولوجيا الترجمة. جدة: جامعة الملك عبدالعزيز.
- الفاسي، دواد بن إبراهيم (1936–1954). كتاب جامع الألفاظ. تحقيق س.ل. سكوس في مجلدين. نيو هافن. صدر الكتاب بالعنوان التالي: Solomon Skoss, The Hebrew-Arabic Dictionary of the Bible known as Kitab Jami al-Alfaz (Agron) of David ben Abraham Al-Fasi, the Karaite (New Haven: Yale UP 1936-1945).
- القرقساني، أبو يعقوب إسحاق (1939). كتاب الأنوار والمراقب. مجلدان. نيويورك. صدر الكتاب بالعنوان التالي: Al-Qirqisānī, Kitāb al-'ānwār wal-marāqib: ed. Leon Nemoy (edition 30), New York 1939.

ب. مراجع باللغات الأجنبية:

- Ayres L. (2004). *Nicaea and its Legacy: An Approach to Fourth-Century Trinitarian Theology*. New York: Oxford University Press.
- Barr, J. (1968). Comparative Philology and the Text of the Old Testament. Oxford: Exford University Press.
- Brockelmann C. (1928). Lexicon Syriacum. Hale: Sumptibus M. Niemeyer.
- Davies W.D. (1965). *Paul and Rabbinic Judaism.* London.
- Dixon, Th. (2008). Science and Religion: A Very Short Introduction. Oxford: Oxford University Press.
- Gesenius W. (1929). Hebrew and English Lexicon of the Old Testament ... Translated by E. Robinson. Ed. by F. Brown. Oxford: Exford University Press.
- Klein E. (1987). A Comprehensive Etymological Dictionary of the Hebrew Language for the Readers of English. New York.
- Koehler L. & Baumgartner W. (1953). Lexicon in VeterisTestamentiLibros. Leiden: Brill.
- Liddell H. G. & Scott R. (1996). Greek-English Lexicon. Oxford: Clarendon Press.
- Nöldeke Th. (1910). Neue Beiträgezursemitischen Sprachwissenschaft. Straßburg.

- Oxtoby W. G. (1968). Some Inscription of the Safaitic Bedouin. New Haven, Connecticut: American Oriental Society.
- Quispel G. (1966). Ptolémée. Lettre à Flora. Texte, traduction et introduction (sources chrétiennes 24^2). Paris.
- Rubenstein R. (2010). *When Jesus Became God: The Struggle to Define Christianity during the Last Days of Rome*, Mariner Books.
- Williams F. (translator) (1987). The Panarion of Ephiphanius of Salamis: Book I (sects 1-46). Leiden: Brill.
- Williams F. (translator) (1994). The Panarion of Ephiphanius of Salamis: Book II & III (sects 47-80, De Fide). Leiden: E.J. Brill.